۱۶۶۴۲

مجله	الفکر الاسلامی
تاریخ نشر	رمضان ۱۳۸۷
شماره	هفتم سال پنجم
شماره مسلسل	
محل نشر	لبنان
زبان	عربی
نویسنده	احمد محمد جمال
تعداد صفحات	۱۹ - ۲۲
موضوع سرفصلها	القرآن هل هو معجزة ادبیة قبل کل شیء ؟
کیفیت	
ملاحظات	

القرآن

هل هو معجزة أدبية قبل كل شيء ؟!

بقلم الأستاذ : احمد محمد جمال

في احدى الندوات الأدبية – منذ عام تقريبا – أدلى أديب عربى معروف باهتمامه البالغ بشؤون الأدب ، ورعايته السابغة للأسلوب العربى الفصيح الصحيح.. واكاد أقول : انه المدرس المختص للأدب العربى في احدى الكليات ..

.. أدلى هذا الأديب العربى الكبير برأى في اعجاز القرآن ، فقال : « ان القرآن معجزة أدبية قبل كل شيء ! » وعلقت عليه برأى وسط يجعل الاعجاز الأدبى وجهاً واحداً من وجوه اعجاز القرآن المتعددة ! .

ولكنه أصر – في تعقيبه علىّ – على رأيه الذى يجعل اعجاز القرآن وامتيازه في فصاحته اللغوية وبيانه الأدبى !

ولم يفسد الخلاف في الرأى بيننا وداً ، ولا وضع لصداقتنا حداً . فما زلنا أخوين صديقين .

ولكني رأيت ان أجمع أشتات رأيي ، وأطراف قولي.. عن إعجاز القرآن في مقالة يرأسها . لاني ما زلت عند رأيي الأول .

المسألة المطروحة هي :

هل القرآن معجزة ادبية قبل كل شيء ؟

والجواب – في نظرى – ان القرآن ليس معجزة ادبية قبل كل شيء .. هكذا بهذا الاطلاق والتعميم والحسم . وان كان القرآن قدجمع الىاعجازاته المتعددة اعجازا ادبيا الا انالقولبان (القرآن معجزة ادبيةقبل كل شيء) يجرد القرآن من ابلغ اعجازاته التي دلت عليها مقاصد الرسالة والنبوة.. وهي اعجازات التشريع الحكيم الصالح لكل زمان ومكان – والاخبار الصوادق – والغيوب العجيبة عن الماضي والمستقبل .

والقول – كذلك – بان القرآن معجزة ادبية قبل كل شيء يجعل القرآن كتاب ادب

ولغة وبلاغة الا انه في الذروة من كتب الادب واللغة والبلاغة في حين انه كتاب تشريع وتعليم وتنظيم ، ومن الطبيعي والبديهي ان يكون – وهو كلام خالق البشر وادابهم ولغاتهم وبلاغاتهم – معجزا في اسلوبه وصياغة تراكيبه وتغابيره ، وفوق كل التعابير والتراكيب ·

وهناك من يظن ان تحدي القرآن للمشركين ان ياتوا بسورة او عشر سور من مثله ، وان قول الله تبارك وتعالى : (لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن ، لا ياتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) – يعنيان الاعجاز او التعجيز بالاسلوب وحده دون المعاني والاحكام والحكم والانباء والغيوب الماضية والاتية ·

وهذا الظن بعيد وغريب ، والذين يذهبون اليه انما يشغلهم الغلاف عن اللباب والاطار عن الصورة ، فالقرآن قد اعجز ولا يزال يعجز بمعانيه قبل الفاظه ·· معانيه التي جاءت مناسبة لفطرة الناس فيما حدثتهم به من عقيدة سهلة وشريعة سمحة ، وفيما استوفته من حقائق الوجود ورب الوجود : (ما فرطنا في الكتاب من شيء – ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء (فطرة الله التي فطر الناس عليها) ·· الامر الذي لم يسبق القرآن فيه كتاب رسول ولا صحف نبي ، فضلا عن مواعظ الحكماء من غير الرسل والانبياء ·

ان اللغة والبلاغة في القرآن غلاف جميل للباب اجمل واطار جليل لصورة اجل !

ونتامل الآية التي ذكرناها آنفا : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) ثم نتساءل : ما معنى انه تبيان لكل شيء ؟ ونترك الاجابة لبعض الصحابة والتابعين ، ونتبعها بآراء بعض المفكرين العصريين ·

يقول مجاهد : انه تبيان لكل حرام وحلال · ويقول ابن مسعود : قد بين لنا القرآن كل علم وكل شيء · وعقب عليهما ابن كثير بقوله : ان قول ابن مسعود اعم واشمل ، فان القرآن اشتمل على كل علم نافع ·· من خبر ما سبق وعلم ما سياتي ، في كل حرام وحلال ، وما الناس محتاجون اليه في امر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم » ·

وابن مسعود رضي الله عنه – كما هو معروف – احد الاربعة الذين امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان يؤخذ القرآن منهم والثلاثة الاخرون هم : سالم مولى ابي حذيفة ، ومعاذ ابن جبل ، وابي بن كعب ·

ولذلك – كما يرى الدكتور محمد احمد الغمراوي – «يغلب على الظن ان هذا الفهم لابن مسعود لمعنى الآية قد اخذه عن الرسول عليه الصلاة والسلام · وعلى الباحث ان ينظر اولا كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء في الدين ، ليتخذ من ذلك

معيارا ومقياسا لكون القرآن تبيانا لكل شيء في الفطرة » ·

وهناك آيات في القرآن يتكرر معناها ويتغير بعض الفاظها وهي تتضمن المن على الرسول عليه الصلاة والسلام بما اشتمل عليه القرآن : من الغيوب الماضية عن اهل الكتاب وانبيائهم ومواقفهم تجاه رسالات الله اليهم :

– كقوله تبارك وتعالى : (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ، فاصبر ان العاقبة للمتقين) – اي من قبل القرآن · وفي ذلك اعجاز مبين !

– وقوله عز وجل : (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم اذ يختصمون) ·

– وقوله سبحانه :(وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر ، وما كنت من الشاهدين – ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر · وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين – وما كنت بجانب الطور اذ نادينا · ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) ·

فهذا هو الاعجاز (بالغيوب) الماضية التي بهت لها اهل الكتاب وغيرهم من الاعراب ·

ومن اعجاز القرآن ما تكشف على مدى الاجيال المتعاقبة تصديقا للآية القرآنية : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق · او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟ » ·

ونكتفي – هنا – بالاشارة الى ما توصل اليه العلم الحديث من اسرار تحريم القرآن لاكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، وغيرذلك مما دل دلالة معجزة على حكمة التشريع القرآني الخالد الرشيد ·

ولكنا نثبت – هنا – كشفا علميا جديدا من كتاب : (حياتي في المحكمة) للماحمي الامريكي لويس نيزر يقول فيه « ان المحامي عادة يلجا الى عنصرى الملاحظة والذاكرة من اجل الحصول على الحقيقة » ثم يذكر انه بعد تجارب عديدة واختبارات اجريت على طلبة جامعة هارفارد تبين له : ان العاطفة والتحيز قد يحولان (ما نراه بالفعل) الى (ما نحب ان نراه) وان الملاحظة ركيزة واهية حين يكون الملاحظ تحت تاثير انفعال عاطفي !

ويضيف لويس نيزر قوله : ومثل ذلك في الخطر : الاعتماد على الذاكرة · ويورد رايا (لجون لوك) يؤكد فيه ان التذكر يعتمد في الدرجة الاولى على ترابط الافكار وتداعي المعاني في الذهن · اي ان الامر – كما يقول لويس – يتوقف على مدى التركيز الذي نستجمعه لذاكرتنا ·

ويعلق الدكتور سعيد رمضان – فيمجلة المسلمون – على ما اورده لويس نيزر بايراد الآية القرآنية : « واستشهدوا

شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ، ممن ترضون من الشهداء ٠٠ ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ٠٠ » ويرى ان ضلال الشهادة في الآية معناه اختلاط الامور واضطراب الوعي ، وان اخطر مزالق الانحراف في الشهادة هو غلبة العاطفة في الامر المشهود به ٠ والمرأة كما هو معروف ومقرر في طبيعتها : ذات عاطفة عميقة غلابة ٠

قلت : ومن هنا كان طلب التشريع القرآني للشهادة رجلين لاحداث التركيز والترابط والتذكير — ثم طلبه ، ان لم يكونا رجلين — رجلا وامرأتين للغرض نفسه مع مقاومة التأثير العاطفي عند المرأة ٠ وصدق الله العظيم : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ٠٠)

ويقول الاستاذ محمد احمد الغمراوي في بحث قيم له نشرته مجلة (الوعي الاسلامي) الكويتية :

« ان الخبر القرآني اذا تحقق ووقع المغيب اكتسب الخبر اعجازا آخر هو اعجاز المعنى الى جانب اعجاز التعبير ٠ وهو اعجاز دائم لان الخبر القرآني محفوظ باق يتلى ٠ وتحققه الماضي ثابت تاريخيا لا شك فيه ٠ وتحققه في المستقبل اذا كان لا يزال ينتظر التحقيق هو تجديد للاعجاز ٠٠ هو معجزة جديدة تظهر في العصر الذي يتحقق فيه الخبر ٠ وكذلك كل قصص قرآني وصفه الله بانه من انباء الغيب » ٠

ويقول الاستاذ احمد حسين — المحامي المصري المعروف — « ما من رسول الا وقد ارسل الى قومه مزودا بمعجزة خارقة تصدع عقولهم وتحملهم بالتجربة والمشاهدة والعيان على التصديق والايمان ٠٠ الا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد جاءت معجزته الكبرى (القرآن) معجزة عقلية تخاطب العقول بالدليل والبرهان ٠ ولذلك نرى انه بينما اصبحت معجزات الرسل تروى وتحكى نرى معجزة الاسلام باقية خالدة خلود العقل الاسلامي » ٠

ويقول الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني : سيجد كل جيل في القرآن اشياء جديدة لم تكن معروفة من قبل ٠ ولن يستطيع جيل واحد مهما اوتي من علم ومهما بذل من جهد ان يحيط بجميع عجائب القرآن ٠ لان الله لم ينزله لجيل واحد وانما انزله لجميع الاجيال البشرية المتعاقبة » ٠

قلت : وهؤلاء العلماء الغربيون من اوربيين وامريكيين وغيرهم ما الذي اجتذبهم نحو الاسلام غير الاعجاز العلمي والتشريعي في القرآن ٠٠ ولقد قرأوه مترجما — لا في لغته العربية البليغة — ومع ذلك اعترفوا في مقالاتهم ومؤلفاتهم عن الاسلام بان روائع القرآن العلمية والتشريعية هي التي اغرتهم باعتناق الاسلام — او على الاقل دفعتهم الى الاعتراف بعبقرية التشريع القرآني ، وان لم يعتنقوا الاسلام دينا ٠

وبعد : فحسبنا بيانا لتعدد وجوه الاعجاز القرآني وان الاسلوب ليس اولها ولا افضلها — قول رسول القرآن نفسه عن القرآن :

(فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم) ٠

تعريف عام بدين الإسلام

للأستاذ : علي الطنطاوي

— من كتاب بهذا العنوان ، أعمل على تأليفه ، واسأل الله أن يعين على اتمامه —

قلت لتلاميذي (في كلية التربية) :

— لو جاءكم شاب مثقف (اجنبي) لم يسمع قط بالاسلام ، وقال لكم : انا احب ان اعرف ما هو الاسلام ، ولكني لا املك الا ساعة واحدة — اركب بعدها الطيارة ، وامضي الى بلادي ...

... فهل تستطيعون ، وقد درستم علوم الاسلام اثنتي عشرة سنة ، ان تفهموه ما هو الاسلام في ساعة واحدة ؟

— قالوا : لا . ولا نحسب هذا ممكنا

— قلت : سبحان الله ! اما كان الاعرابي الجاهل ، يفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيبقى معه يوما أو بعض يوم — وربما لم يبق معه الا ساعة من زمان ، فيفهم الاسلام ، ويرجع الى قومه — داعيا اليه ، دالا عليه ؟ اليس حديث جبريل وسؤاله ، عن الايمان والاسلام والاحسان ، فيه الدين كله ؟ ...

ما هو الاسلام، وكيف يكون الدخول فيه ؟

كل نحلة من النحل الصحيحة والباطلة ، وكل جمعية من الجمعيات النافعة والضارة ، وكل حزب من الاحزاب الخيرة والشريرة ، لكل ذلك (مبادىء) : اسس فكرية ، مسائل عقائدية ، تحدد غايته ، وتوجه سيره ، وتكون كالدستور لاعضائه واتباعه ٠

ومن اراد ان ينتسب الى واحد منها ، نظر اولا الى هذه (المبادىء) ، فان ارتضاها ٠٠ واعتقد صحتها ، وقبل بها ، بفكره الواعي ، وبعقله الباطن ، ولم يبق عنده شك فيها قدم (طلب الانتساب) الى الجمعية ، فانتظم في سلك اعضائها ومتبعيها ، ووجب عليه ان يقوم بالاعمال التي يلزمه بها دستورها ، ويدفع (رسم الاشتراك) الذي يحدده نظامها المالي، وكان